المحاضرة رقم : 02

المقاومة الوطنية في بداية الاحتلال (مقاومة أحمد باي):

أ- مقاومة أحمد باي 1830 - 1848 :

- مولده و نسبه ونشأته : تؤكد مذكراته أنه من مواليد عام 1786م، و هو آخر بايات قسنطينة (1826 – 1830)،و ينتمي إلى أسرة كرغولية أي من أب تركي وأم جزائرية من عائلة ابن قانة في منطقة بسكرة، و هي تنتمي إلى أكبر عائلة لعرب الصحراء . كان جده أحمد القلي بايا على هذا الاقليم، أما أبوه فقد شغل منصبا كبيرا في حكومة الداي . أرسلته عائلته إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، اقترحه الأغا يحي على الداي حسين ليعينه بايا على قسنطينة لما كان يتوفر عليه من شخصية قوية وكفاءة ، فوافق على ذلك ، وكان ذلك عام 1826 .

-الحاج أحمد باي و الحملة الفرنسية على الجزائر:

بعد أن تأكدت الحملة الفرنسية على الجزائر، و وصولها إلى ميناء سيدي فرج وفي عام 1830م ، ذهب الحاج أحمد باي إلى الجزائر العاصمة لأداء الدنوش أو الزيارة الاجبارية التي يؤديها إلى الباشا جميع البايات مرة كل ثلاث سنوات، و بعد وصوله إلى العاصمة، أخطره حسين باشا بتفاصيل الحملة الفرنسية، و امره بتحصين ميناء عنابة، وطلب منه أن يستعد لملاقاة الفرنسيين، و أن يلتحق فورا بسيدي فرج لحضور الاجتماع الذي سيعقد هناك لمناقشة وسائل المقاومة و الدفاع ضد الحملة الفرنسية عن الجزائر، وقد حضر الاجتماع إلى جانب أحمد باي الأغا ابراهيم (قائد الجيش و صهر الباشا) وأيضا باي التيطري مصطفى بومزراق، وخليفة باي وهران، وخوجة الخيل.

وحاول أحمد باي توظيف حنكته السياسية والعسكرية باقتراح بعض الخطط الحربية التي من شأنها أن تصد العدوان، إلا أن هذه الخطط لم تلق القبول من لدن الأغا إبراهيم الذي كان لا يتقبل غير رأيه الطائش، فلم يكن يعرف الشيء الكثير عن التكتيك العسكري عكس سابقه الأغا يحي الذي شغل هذا المنصب لمدة اثني عشرة سنة، فلو كان على رأس الجيوش الجزائرية، لسارت الأمور على أحسن ما يرام،

لأنه كسب تجربة في القتال برا وبحرا، إضافة إلى شجاعته في جميع الحالات، يمكن أن تشكل ضمانا بالنسبة للجندي الذي يحارب تحت إمرته.

وشارك أحمد باي في معركة سطاوالي في 19 جوان 1830م وهو فاقد الأمل في دحر المحتل بسبب سوء توظيف الإمكانيات، وقد فقد حوالي 200 من رجاله، و بعد استيلاء الفرنسيين على قلعة مولاي حسن بالجزائر العاصمة، انسحب الى وادي القلعة ثم إلى عين الرباط (مصطفى باشا حاليا)، ليعود إلى قسنطينة رفقة فرسانه، والتحق به حوالي 1600 من أهل مدينة الجزائر فارين من الجيش الفرنسي رجالا و نساء، و في وادي الزيتون، اتصل به مبعوث دي بورمونت" Bourmont " قائد الحملة الفرنسية عارضا عليه الاستسلام مقابل ابقائه في منصبه، ويدفع ضريبة سنوية لفرنسا، فكان رده أن الأمر بيد أهل الإقليم الذي يحكمه. و هو يعتقد أن سلطاته مستمدة من الشّعب و من السلطان العثماني، فجمع ديوانه و واستشاره، فكان رد الديوان الرفض القاطع. واصل أحمد باي سيره نحو قسنطينة التي وصل ضاحيتها (الحامة) بعد اثنين وعشرين يوما .

وكان قد توقف في ضاحية المدينة بعد أن علم أن هناك انقلاب دبّر ضده، تزعمه عدد من ضباط اليولداش، وعينوا بدله بايا جديدا يدعى " حمود بن شاكر"، و لكن تمكن في نهاية المطاف من افشال هذه المحاولة، ودخل إلى المدينة، و قد نفّذ حكم الإعدام في كل المتآمرين عليه، و حمل منذئذ كرها شديدا ضد الأتراك .

لقد واجه أحمد باي خصوما في عدة جبهات:

1- جبهة ضد فرنسا : منذ احتلالها للعاصمة، و لأهم موانئ إقليم قسنطينة، و منها عنابة عام 1832 و بجاية عام 1833م .

2- جبهة ضد تونس: فقد وقع الجنرال " كلوزيل " معاهدة مع تونس في 18 أكتوبر 1830، يصبح بمقتضاه سي مصطفى أخو باي تونس عندئذ بايا على قسنطينة خلفا للحاج أحمد باي، كما وقع معاهدة أخرى مع خيرالدين ممثل آخر عن باي تونس لحكم إقليم وهران .

3- جبهة ضد ابراهيم (الباي السابق على بايلك قسنطينة) الذي أعلن نفسه بايا على عنابة، ويطالب بعودته إلى قسنطينة .

4- جبهة ضد مصطفى بوزراق باي التيطري: الذي أعلن نفسه " باشا الجزائر" خلفا للداي حسين، وطلب من الحاج أحمد باي أن يعترف به .

5- جبهة ضد فرحات بن سعيد شيخ العرب السابق على الصحراء الشرقية بالزيبان الذي عزله الحاج أحمد باي، وعين بدله خاله بوعزيز بن قانة، فانسحب فرحات بن سعيد إلى أولاد جلال ، حيث أخذ يوجه من هناك هجماته ضد الحاج أحمد باي

– **استعدادات أحمد باي لمجابهة فرنسا** :

- إحاطة نفسه برجال ثقة و نفوذ في بايلك الشرق و تمتين الصلات بينه و بين شيوخ القبائل .

- اعتماد مبدأ استشارة ديوانه المكون من الأعيان و الشّيوخ و الرّجوع في أمهات القضايا إلى السلطان العثماني .

- ملء الفراغ الذي أحدثه استسلام الداي و تآمر باي تونس مع الفرنسيين

- فتح باب الانخراط في الجندية لكل أفراد الشّعب استعدادا للمعركة الفاصلة.

- تحصين مدينة قسنطينة ببناء الخنادق و الثكنات .

- تدارك أحمد باي الأمر بعد سقوط عنابة عام 1832 و بجاية عام 1833، وعمل على حصار العدو داخل هاتين المدينتين .

– **موقف فرنسا من الحاج أحمد باي و من إقليمه :**

إن اخضاع بايلك الشرق الجزائري ، بدأ التحضير له منذ 1830 بكل الطرق و الوسائل ، ومنها :

- محاولة استمالة الحاج أحمد باي و التفاوض معه لاعتراف به باي على بايلك الشرق الجزائري .

- إبرام اتفاقية مع مصطفى باي تونس تقضي بتأجير بايلك الشرق الجزائري لإيالة تونس، مقابل مليون فرنك سنويا، لكن هذه الخطوة باءت بالفشل، فلم توافق عليها الحكومة الفرنسية .

- احتلال المدن البحرية الرئيسية لبايلك الشرق و منها عنابة، وبجاية، كخطوة عملية لتحضير غزو و احتلال مدينة قسنطينة .

- <u>الحملات الفرنسية على مدينة قسنطينة</u> :

أ – <u>الحملة الأولى: عام 1836م</u> :

قادها الماريشال كلوزيل في نوفمبر 1836م، فبعد أن أدرك أحمد باي – عن طريق جواسيسه – استعداد الفرنسيين في عنابة للقيام بحملة ضد قسنطينة، خرج لمقاومتهم فأقام معسكرهم عند مكان يعرف بوادي الأحد (وادي الكلاب سابقا) بضواحي سيدي مبروك .

و كانت قواته تتكون من 1500 من المشاة و 500 من الفرسان ، وكان الفرنسيون قد نصبوا مدافعهم على جبل المنصورة و سيدي مبروك، وبدأوا في قصفها، و كان الجيش الفرنسي بقيادة الماريشال كلوزيل .

و فضل أحمد باي عدم المواجهة المباشرة خارج المدينة قسنطينة خوفا على قواته و حفاظا عليها، فقام باستدراجهم إلى سفوح المدينة التي لا يملكون عنها معلومات بالإضافة إلى تضاريسها الوعرة .

و عند وصول القوات الفرنسية إلى هذه المرتفعات ، وجدت نفسها محاصرة بين أسوار المدينة المحصنة، وقوات الحاج أحمد من القبائل التي تمركزت في المؤخرة . وقد ساعدت الأحوال المناخية من تهاطل مكثف للأمطار، و تساقط كثيف للثلوج .

و لقد حاول الفرنسيون إرغام المقاومين على الاستسلام، لكنهم فشلوا فتراجعوا عنها، و طاردهم جيش أحمد باي إلى قالمة و في طريق عودته إلى قسنطينة و جد عربات محملة بالمؤونة تركها الفرنسيون خلفهم، و هكذا انتهت هذه المعركة بهزيمة القوات الفرنسية في 23 نوفمبر 1936، و تنحية " كلوزيل " من منصبه كحاكم عام، و خلفه الجنرال " دامريمون " . و بخسارة في صفوف الجيش الفرنسي قدرتها المصادر الفرنسية ما بين 700 إلى 900 قتيل .

ب - <u>الحملة الثانية</u> :

من 06 إلى 14 أكتوبر 1837قادها الحاكم العام الجنرال دمريمون بتعداد 13100 جندي وضابط، أما أحمد باي فقد جهز 12000 جندي وحوالي 10000 متطوع، ووزع قواته خلف أسوار المدينة، وقوة تحت إمرته تزيد عن 5000 فارس خارج الأسوار.

نتائج الحملة الثانية :

انتهت هذه المعركة باحتلال القوات الفرنسية مدينة قسنطينة في 14 أكتوبر 1837، لكن فقد الجيش الفرنسي 200 قتيل منهم 19 ضابطا، وعلى رأسهم جنرال الحاكم العام دمريمون الذي سقط يوم 13 أكتوبر والجنرال باريقو، الجنرال كارمان، العقيد كولومب والرائد سيريني، والرائد فيو، من سلاح الهندسة، بالإضافة إلى 38 ضابط أصيبوا بجروح متفاوتة الخطورة من بينهم العقيد لامورسيير، و129 قتيل في صفوف ضباط الصف، و468 جريح وعدد جد مرتفع من النساء والشيوخ والأطفال من ساكنة مدينة قسنطينة ذبحوا على يد الجيش الفرنسي يوم 14 أكتوبر 1837م (تاريخ سقوط مدينة قسنطينة)

وبالرغم من ذلك، واصل احمد باي مع أتباعه التحريض على المقاومة ومقارعة العدو ما بين جبل أحمر خدو، والزيبان، و الأوراس، إلى أن نال منه المرض والتقدم في السن. ألقي عليه القبض بتاريخ 5 جوان 1848، حيث وضع تحت الإقامة الجبرية ببئر خادم، إلى أن توفي عام 1850 ودفن في مقبرة سيدي عبد الرحمن بمدينة الجزائر

*** مصادر ومراجع هذا الجزء (مقاومة احمد باي) :**

- **مذكرات أ حمد باي ، حمدان خوجة و بوضربة**، ترجمة : محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1973، ص.ص 115-116.

- أبو القاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال) و يليه خلاصة تاريخ الجزائر (المقاومة و التحرير 1830-1962)**، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2015. ص- ص. 133-147.

- حمدان بن عثمان خوجة ، **المرآة**، الطبعة الثانية، تقديم و تعريب و تحقيق: محمد العربي الزبير،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982. ص187.

محاضرة رقم 03

ب – مقاومة الامير عبد القادر (1832 – 1847) .

1- مولده ونشاته :

ولد عبد القادر بن محي الدين عام 1807 بقرية القيطنة الواقعة غرب مدينة معسكر، حفظ القرآن، و تتلمذ على يد عدد من شيوخ المنطقة، فأخذ عليهم العلوم الشرعية، و اللّغوية، و التّاريخ، و الشّعر، و الفقه في سن مبكر .

2- مبايعته :

و لما كان الشيخ محي الدين متقدما في السن، رفض أن يتحمل عبء المقاومة، و مبايعته أميرا ، فعرض أهالي منطقة الغرب الجزائري عليه أن يبايعوا ابنه عبد القادر، فقبل رأيهم، و تمت له البيعة مرتين، الأولى رسمية من الأعيان في 27 نوفمبر1832 تحت شجرة الدردارة من قبل زعماء القبائل، و العلماء في سهل غريس قرب معسكر، والثانية بيعة عامة في 4 فيفري 1833.

مراحل المقاومة الامير عبد القادر :

أ- مرحلة القوة: (1832-1837) :

تمكّن خلالها الأمير من بسط نفوذه على مدن رئيسية مثل تلمسان و مليانة والمدية وحاول تحرير أرزيو و وهران، و شدّد الحصار على مدينة مستغانم، فاضطر الجنرال دي ميشيل حاكم وهران إلى عقد معاهدة معه بتاريخ 26 فيفري 1834عرفت باسم " معاهدة دي ميشيل " . واستفاد الأمير من فترة الهدنة في توسيع نفوذه وادخال الكثير من القبائل تحت سيطرته، لكن فرنسا لم تلتزم ببنود المعاهدة السالفة الذكر، حيث هاجم " ترزيل " – الذي عين مكان " دي ميشيل " - الأمير في المقطع ، لكنه مني بهزيمة نكراء في معركة المقطع في 28 جوان 1835، مما أدى إلى عزل " تريزيل " حاكم وهران و الحاكم العام " ديرلون" واستبدل هذا الأخير بالجنرال كلوزيل " Clauzel " الذي هاجم وهران ، واحتل ميناء رشقون ، ثم سار إلى مدينة معسكر عاصمة الأمير و دخلها في 6 ديسمبر 1835، و تلمسان يوم 15

جانفي 1936 . كما اصطدمت القوات الفرنسية مع الأمير في معارك أخرى من بينها معركة وادي سكاك في جويلية 1836 .

و بعد فشل القوات الفرنسية في اسقاط مدينة قسنطينة 1836، قرّر الجنرال " بيجو " الدخول في مفاوضات مع الأمير، انتهت بتوقيع معاهدة التافنة في 30 ماي 1837، حيث كانت هذه المعاهدة بداية لمرحلة جديدة في مقاومة الأمير عبد القادر.

ب – <u>مرحلة الهدوء المؤقت وبناء الدولة (1837 – 1839)</u>:

بدأت هذه المرحلة بتوقيع معاهدة التافنة يوم 30 ماي 1837م، و استغلها الأمير لتعزيز قواته العسكرية، فاستطاع تنظيم دولته و إرساء دعائمها على النحو الآتي :

- استند على الكتاب و السنة النبوية في تسيير أمور دولته .

- اتخذ عاصمة له " معسكر – تاقدمت - الزمالة " .

- تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء ، نائب الرئيس و وزير الخارجية، وزير الخزينة، و وزير الاوقاف، و وزير الأعشار و الزكاة.

- تأسيس مجلس شورى(11 عضوا من أجلة العلماء).

- تقسيم دولته إداريا إلى 8 ولايات بعد أن كانت 4 فقط ما بين (1832 - 1837) في الغرب، و الوسط، و الشرق، و على رأس كل ولاية خليفة له، وهي كما يلي :

المقاطعة	بعض خلفاء الامير
معسكرالعاصمة1، تاقدامت – الزمالة .	الحاج مصطفى بن احمد التهامي
تلمسان	محمد البوحميدي الولهاصي
مليانة	محمد بن علال
التيطري (المدية)	محمد بن عيسى البركاني
مجانة (سطيف)	محمد بن عبد السلام ثم خلفه المقراني
الصحراء الغربية(الأغواط)	الحاج العربي بن الحاج عيسى ثم خلفه قدور بن عبد الباقي
برج حمزة (جرجرة، البويرة)	أحمد الطيب بن سالم
الزيبان (بسكرة)	فرحات بن سعيد، ثم خلفه حسين بن عزوز.....

ج- <u>مرحلة حرب الابادة و التسليم (1839 – 1847</u>) :

بعد احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837، بادر المارشال " فالي" إلى خرق معاهدة التافنة بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير، وبدأت الكفة ترجح لصالح العدو بعد أن تمكن من الاستيلاء على عاصمة الأمير تاقدامت 1841، و جرت معركة بين الطرفين عرفت باسم معركة الزمالة يوم 16 ماي 1843، تفوق فيها الفرنسيون، وأسروا عددا من أتباع الأمير و قواته، و استولوا على معظم مؤونته و ذخائره و من بينها مكتبته الخاصة التي احتوت على حوالي 5000 مخطوط .

و بعد هذه المعركة ، لجأ الأمير إلى المغرب الاقصى، ولكن ضغط السلطان عليه ، جعله يعود إلى الجزائر بعد قصف الأسطول الفرنسي لمدينة الصويرة و طنجة، و قد انتصر الأمير في معركة سيدي ابراهيم 23 – 26 سبتمبر 1845، إلا أنه فشل في ذلك خاصة بعد فقدان أبرز أعوانه، ففكر في عبور الحدود مرة أخرى لكن السلطان المغربي تحت تأثير التهديد الفرنسي أرغمه على مغادرة البلاد، وباشتداد الحصار عليه، لم يجد بدا من التسليم الذي عرضه على القائد الفرنسي (لامورسيير) شريطة السماح له بالخروج حيث يشاء و بشروط :

- أن يقدم له تعهدا مكتوبا يسمح له و لاتباعه بالهجرة إلى الاسكندرية أو عكا .

- أن تضمن هذا التعهد شخصية فرنسية رسمية.

- إعطاء الأمان لجميع رفقائه و جنوده و السماح لهم بالالتحاق بقبائلهم.

- إذا قبل هذه الشروط عليه أن يوقعها و يختمها بطابع القيادة.

و بعد أن أوقف الأمير أعماله الحربية في 23 ديسمبر 1847، على أن يتم ترحيله إلى الاسكندرية كما رغب، لكن فرنسا نقضت وعدها، وغيّرت وجهته إلى ميناء " طولون " ثم إلى مدينة " بو" في مقاطعة " أورليان" و منها إلى قصر " أمبواز" ، حيث مكث فيه خمس سنوات تحت الإقامة الجبرية إلى أن أطلق سراحه نابليون الثالث في نهاية عام 1852، فغادر الأمير فرنسا إلى إسطنبول، ومنها إلى بورصة، وفي سنة 1955 انتقل إلى بيروت و منها إلى دمشق، ذاع صيته عالميا بعد احتواء فتنة الشام (بين الدروز و المراونة) 1860 .

توفي في 26 ماي 1883، ودفن في دمشق، وبعد استرجاع السيادة، نقل جثمانه إلى مقبرة العالية بالجزائر العاصمة في 5 جويلية 1966 .